النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم معلما

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله وسلم، المعلم الأعظم، والنبي الأكرم، نبي المرحمة، وأستاذ الأمة الأول، وإمامها الأوحد وبعد؛؛

نعيش اليوم مع قبس من أقباس النبوة، نعيش مع سيدنا رسول الله ﷺ معلما!

أولا فضل العلم والحض عليه

إن أول آية نزلت على قلب النبي ﷺ كانت اقرأ " تعلم، أمر بالعلم والفكر قبل الصلاة والزكاة، والحج والعبادات، تعلم، تفكر تدبر، وعلي اختلاف المفسرين في أيهما نزل قبل الآخر فأن الآيات الأولى التي نزلت علي قلب سيدنا رسول الله ﷺ تحض علي العلم، مثل قوله ﷻ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ 1 ﴾ [العلق: 1] وقوله ﷻ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ 1 ﴾ [القلم: 1] فإن أفضل خلق الله بعد الأنبياء هم العلماء، بدليل قول الحق سبحانه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة: 11] وبين سبحانه أن أكثر الناس خشية لله هم العلماء لأنهم أعرف الناس بمقام الله وقدر الله قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾ [فاطر: 28] وبالعلم أظهر الله سبحانه آدم علي الملائكة وأمرهم بالسجود له، فهو وسيلة السعادة الأبدية، وهو إرث الأنبياء والمرسلين، يقول النبي ﷺ: "مَنْ سلَكَ طريقاً يَطلُبُ فيه علماً سَلَكَ الله عزّ وجلّ به طريقاً من طُرُقِ الجنة، وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها رضاً لطالبِ العلم، وإنَّ العالم ليستغفِرُ لهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ والحيتانُ في جوف الماء، وإن فضلَ العالِمِ على العابِدِ كفضل القَمَرِ ليلةَ البدرِ على سائر

الكواكِبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً، ورَّثُوا العِلْمَ، فمن أخَذَه أخَذَ بحظٍّ وافِرٍ) ([1])

قال عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق عن النبي ﷺ أنه قال:(لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجلٍ آتاهُ الله مالا فسلطه على هَلَكَتِه في الحق، ورجلٍ آتاهُ الله حِكْمَةً فهُوَ يَقْضي بها ويُعَلِّمُها) (البخاري)

ولله در الإمام علي حيث يقول:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء وقدر كل أمرئ ما كان يحسنه ...

والجاهلون لأهل العلم أعداء -- ففز بعلم تعش حياً به أبداً ... الناس موتى وأهل العلم أحياء ..

وَقَالَ الإمام عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَعْرِفُ فَضْلَ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

إِنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّبِيبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا فَاصْبِرْ لِدَائِك إِنْ أَهَنْت طَبِيبَهُ وَاصْبِرْ لِجَهْلِك إِنْ جَفَوْت مُعَلِّمَا .

والحديث في شرف العلم وأهله يطول، فيكيفهم فخرا أن الله أشهدهم على نفسه قال تعالى:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18] ولما أراد الحق سبحانه أن يملك على بني إسرائيل اختار لهم طالوت قال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ

[1] سنن أبي داود، رقم الحديث 3641.

عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 247]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " النون الدواة التي كتب الذكر منها، والقلم الذي كتب به الذكر الحكيم. وَما يَسْطُرُونَ ما تكتبه الحفظة من أعمال بني آدم" ([2])

وقد شهد الله لأهل العلم بالإيمان والرسوخ والثبات، بسبب علمهم، فكلما زاد الرجل علما، زاد خشية وخوفا من الله كما بين الحق سبحانه بقوله وهو أصدق القائلين: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر – 28)، فهؤلاء العلماء أهل الرسوخ والثبات، قال الله جل وعلا عنهم: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162] وغيرها من الآيات.

صور من حياة سيدنا رسول الله ﷺ في مجال التربية والتعليم

لقد كان النبي ﷺ نبراسا، ومنهاجا، وجامعة للعلم والعلوم، بل إن كل العلوم والمعارف والفنون أصلها من حياة سيدنا رسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ يحرص كل الحرص على تعليم صحابته وأمته ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وقد حفلت سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم بالعديد من المواقف، منها موقف مع ابن عباس رضي الله عنه وهو يربت على كتفه، ويقول له يا غلام ألا أعلمك كلمات... الحديث ومع عمر بن أبي سلمه لما قال له يا غلام سم الله وكل بيمينك.. وغيرها من المواقف العديدة التي تبين أنه ﷺ كان حريص على أمته يعز عليه أمر العنت والمشقة، رؤوف بهم رحمة لهم.

والناظر في السنة والسيرة المطهرة يجد أن مظاهر العلم والتعلم، تأتي أحيانا على صيغة سؤال من المتعلم، وتأتي أحيانا في صيغة سؤال من الأستاذ الأول ﷺ، وتأتي مرات عديدة في صورة مواقف حياتيه، كتصحيح لمفهوم، أو إقرار أمر وغير ذلك:

[2] أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ): تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 - 1423 هـ، صـ174.

أما الأسئلة التي تأتي من المتعلم فعديدة منها:

أبو برزة واسمه نضله بن عبيد الأسلمي، ممن أسلم قديما وحسن إسلامه وكانت له صحبة بسيدنا رسول الله ﷺ وهو من فقهاء المدينة، من مواقفه التي تدل على غزارة علمه وحبه لسيدنا رسول الله ﷺ

عن الأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنَّا عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ بِالأَهْوَازِ، قَدْ نَضَبَ عَنْهُ الْمَاءُ، فَجَاءَ أبو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيُّ عَلَى فَرَسٍ، فَصَلَّى وَخَلَّى فَرَسَهُ، فَانْطَلَقَتِ الْفَرَسُ، فَتَرَكَ صَلاَتَهُ، وَتَبِعَهَا حَتَّى أَدْرَكَهَا، فَأَخَذَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَضَى صَلاَتَهُ، وَفِينَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ، فَأَقْبَلَ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى هذَا الشَّيْخِ، تَرَكَ صَلاَتَهُ مِنْ أَجْلِ فَرَسٍ، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: مَا عَنَّفَنِي أَحَدٌ مُنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّ مَنْزِلِي مُتَرَاخٍ، فَلَوْ صَلَّيْتُ وَتَرَكْتُ، لَمْ آتِ أَهْلِي إِلَى اللَّيْلِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، فَرَأَى مِنْ تَيْسِيرِهِ. (صحيح البخاري)

وهو موقف تعليمي تلقاه من فعل سيدنا رسول الله ﷺ يعلمنا فقه الأولويات، فلما رأى الناس من فقهه وأنه شيخ كبير من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ، وأن بعضهم لم يحسن التقدير، فأقبل الناس يعتذرون إليه!

يأتي رضوان الله عليه يوما إلى سيدنا رسول الله ﷺ فيقول يا رسول الله يا رسول اللَّه دلني على عمل أنتفع به، (قال): "نح الأذى عن (طريق) المسلمين".(المصنف بسند حسن)

وقد يظن البعض أن المعنى الظاهري للحديث هو المراد فقط، وله شاهد كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ (الشيخان) والطريق لا يعني الطريق الظاهري فقط، وإنما طريق المؤمنين سبيلهم، يقول ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ [النساء: 168] والطريق السبيل، وإماطة الأذى، أي توضيح المبهم، وكشف الملتبس، وإزالة كل ما يعيق عن فهم النصوص النبوية المقدسة، والنص القرآني الشريف، فهذا من أعظم القربات، وهو عين مراد سيدنا رسول الله ﷺ، فإن كان مجرد إزالة بضع حصوات من طريق الناس فيه خير كبير، فما بالنا بمن بين الطريق، وأزال الغامض، ووضح المشكل، ولما كان الأمر كذلك فقد بين الحبيب المصطفى ﷺ أن العلماء ورثة الأنبياء (السنن بسند صحيح)

موقف أخر من مواقف الصحابة مع سيد الخلق ﷺ صحابي جليل من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ يسأله ﷺ عن عمل يدخله الجنة فقال ﷺ إن من مُوجبَات الْمَغْفِرَة بذل السَّلَام وَحسن الْكَلَام (الطبراني حسن) وله شاهد أخر من قول الحبيب المصطفى ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي

وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ: " كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ " قَالَ: قُلْتُ أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: " أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ (المسند بسند صحيح)

وهذا حديث جامع ماتع يعلمنا الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ، والأدب مع مقامه الشريف، وأدب السائل مع شيخه، حيث يبدأ السائل في توقير الأستاذ، بقوله إن رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، خبرني عن موجبات الجنة، فيقررها النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن قبل أن يقررها، يدعو له، ولا شك أن في النص محذوف أو مؤول، ربما سكت عنه الراوي، لتقرير ما هو أهم، أو ربما دار في صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونظره الصحابي الجليل في وجه رسول الله ﷺ! ثم يقرر النبي صلى اله عليه وسلم أن موجبات الجنة والمغفرة، وسبل الجنة كثيرة منها؛

1- بذل السلام على من عرفت ومن لم تعرف وهذا من هدي الحبيب افشاء السلام
2- واطعام الطعام التزاما بنص القرآن وتبيانا لصفات الأبرار في قول الحق ﷻ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]
3- وصلة الأرحام التي هي من أعظم موجبات الرحمة ومن أهم أسباب الرزق والبركة
4- وصلاة الرجل في بيته جوف الليل في خلوة ومكان لا يراه فيه إلا الله.

وفي حديث الأعرابي ملمح خطير من ملامح التربية، وجانب عظيم من جوانب الشخصية النبوية حيث يأتي أعربي لسيدنا رسول الله ﷺ كما روى البخاري وغيره أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ، إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: (تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ). قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)(صحيح البخاري)

وهنا يراعي النبي ﷺ حال السائل، ليضرب لنا المثل والقدوة كيف يكون المعلم، وكيف يراعي حال سائله، وفي كل مرة يجيب النبي ﷺ بجواب يوافق حال السائل! وهنا يقرر أن من موجبات الجنة:

1- العقيدة الصحيحة وتتلخص في عبودية بإخلاص مصداقا لقوله ﷻ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: 11] وعدم الإشراك به بكل الصور أن يكون له ند أو شبيه أو صاحبة سبحانه عن كل مظاهر الشرك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
2- الصلاة، عماد الدين من أقامها بحق فقد أقام أهم ركن، ومن تركها فقد ضيع دينه وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ الصَّلاةَ وما ملَكَت أيمانُكم، الصَّلاةَ وما مَلَكت أيمانُكم (الطبراني صحيح)

3- الزكاة والصوم ومعنى ذلك أن النبي ﷺ قرر له فرائض الإسلام الخمس، فلما قال الرجل لا أزيد عن هذا ولا انقص ضمن له النبي ﷺ الجنة

وفي رواية أخرى، قد تكون لهذا الأعرابي وقد يكون لغيره في موقف مشابه يرويها البخاري، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ثَائِرَ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فَقالَ: الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شيئًا، فَقالَ: أَخْبِرْنِي ما فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ؟ فَقالَ: شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شيئًا، فَقالَ: أَخْبِرْنِي بما فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَاةِ؟ فَقالَ: فأخْبَرَهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ شَرَائِعَ الإسْلَامِ، قالَ: والذي أكْرَمَكَ، لا أتَطَوَّعُ شيئًا، ولَا أنْقُصُ ممَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شيئًا، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أفْلَحَ إنْ صَدَقَ، أوْ دَخَلَ الجَنَّةَ إنْ صَدَقَ (صحيح البخاري)

وفي الحديث عَنْ أَبِي الْيَسَرِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «أَمْسِكْ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ (البزار)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا

تعليم النبي ﷺ لامته في صورة ألا أخبركم أو ألا أعلمك!

أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ (صحيح مسلم)

وصية عظيمة وتعليم وتكريم لتلك الأمة من سيدها ﷺ

1- الوصية الأولى إسباغ الوضوء على المكاره، وأسبغ الشيء أي أتمه على الوجه الأكمل، ومنه قول الحق ﷻ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لقمان 20، وعلى المكاره فسرها أهل العلم بالمرض أو شدة البرد، وقلت أن المعنى أوسع وأعم، وأن وضوء المكاره هو صلاة الفجر وصلاة العشاء، وصلاة الظهر والعصر في الأماكن الحارة، فالفجر والعشاء في أوقات الشتاء وفي الأماكن الباردة وقبل اكتشاف السخان وغيره من الأمور الصعبة على الإنسان، الذي يجاهد فيها، أن يتم الوضوء رغم برودة الجو وصعوبته ومع هذا يجاهد ويمتثل قول الحق ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69]

2- الوصية الثانية كثرة المشي وخصوصا في الليل، إلى الصلاة وانتظار الصلاة، ويؤيده قول النبي ﷺ بشرِّ المشائينَ في الظلمِ إلى المساجدِ، بالنورِ التامِّ يومَ القيامةِ (السنن بسند صحيح)

3- فذلكم الرباط أي فذلكم الجهاد الحقيقي، ومنه ربط الخيل ومرابط الخيل، والمرابطة

وربط الأقدام في سبيل الله، ومنها الربط تلك المنشآت المعمارية الجهادية التي تعني بجهاد النفس وتربيتها وتزكيتها!

حديث أخر يرويه الإمام أحمد وغيره يعلم فيه رسول الله ﷺ صحابته أن ذكر الله أكبر من كل شيء، وأن التسبيح والصلاة والسلام على خير الأنام وترطيب اللسان بالذكر من أعظم القربات عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَلَيْسَ لَنَا مَا نَتَصَدَّقُ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَاتٍ، إِذَا عَمِلْتَ بِهِنَّ أَدْرَكْتَ مَنْ سَبَقَكَ، وَلَا يَلْحَقُكَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " تُكَبِّرُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَخْتِمُهَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(المسند)

حديث أخر تعليمي من سيدنا رسول الله ﷺ يقول فيه:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ - أَوْ: خَرَجَ عَلَيْهِمْ - وَهُمْ جُلُوسٌ، فَقَالَ: " أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلًا؟ " قَالَ: قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِرَأْسِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ " ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَلِيهِ؟ " قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " امْرُؤٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْتَزِلُ شُرُورَ النَّاسِ " ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ مَنْزِلًا؟ " قَالَ: قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " الَّذِي يُسْأَلُ بِاللهِ، وَلَا يُعْطِي بِهِ(المسند صحيح)

وهنا يعلمنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أن أفضل الناس المجاهد في سبيل الله، ثم الذي يعتزل الناس وقت الهرج وشدة الفتن، وشر الناس كما يعلمنا رسول الله ﷺ الذي لا يقدر الله حق قدره، والناس تنشده بالله ﷻ فلا يكترث فهذا أخبث الناس وأشرهم، فالذي لا يخاف الله أفجر الناس وأكثرهم شرا!

حديث أخر يقول الحبيب المصطفى ﷺ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا "(مسند أحمد)

وهنا العديد من الأحاديث التي تبرز الجانب العلمي والتعليمي والتربوي في حياة سيد الخلق ﷺ وتحتاج إلى بحث مستقل.

أذكر بعضها إجمالا لضيق الوقت:

1- إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يُعَلِّمُنَا صَلَاتَنَا وَسُنَّتَنَا فَقَالَ: " إِنَّمَا الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَالَ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7] فَقُولُوا: آمِينَ يُجِبْكُمُ اللهُ، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَقَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ

الْحَمْدُ، يَسْمَعِ اللهُ لَكُمْ، فَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، فَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَسْجُدُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ "، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَتِلْكَ بِتِلْكَ» (السنن الكبرى)

2- كَانَ يُعَلِّمُنَا خَمْسًا كَانَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ وَيَقُولُهُنَّ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» (السنن)

3- كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا كَانَ يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: «تَعْلَمُوا؛ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ إِلَّا بِتَشَهُّدٍ» (المعجم)

4- كَانَ يعلمنا كَلِمَات: اللَّهُمَّ ألف بَين قُلُوبنَا، وَأصْلح ذَات بَيْننَا، واهدنا سبل السَّلَام، ونجنا من الظُّلُمَات إِلَى النُّور، وجنبنا الْفَوَاحِش مَا ظهر منا وَمَا بطن، وَبَارك لنا فِي أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وَأَزْوَاجنَا وَذُرِّيَّاتنَا، وَتب علينا إِنَّك أَنْت التواب الرَّحِيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بهَا قابليها، وأتممها علينا "(البزار)

5- كان يعلمنا رسول الله ﷺ الاستخارة في الأمور كلها

بعض آداب أهل العلم

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: 32] والاصطفاء اجتباء ومنة من الله ﷻ فمنهم ظالم لنفسه بجهله، أتعب نفسه في تغذية الجسد على تغذية الروح، فصاروا بسبب جهلهم كالأنعام بل هم أضل، ومنهم من فسر ظالم لنفسه تفسير عجيب! فقال أن الظالم لنفسه صنف من الأولياء

قال بعضهم: الظالم لنفسه على وجهين : أحدهما : يظلم نفسه فيحرمها حظها من الدنيا ، وظالم لنفسه حرمها حظها من الآخرة ، فالظالم لنفسه : الذي يحرمها حظ الشهوات والإرادات من حظوظ الدنيا ، وظالم لنفسه بأن حرمها شهوة الآخرة

والمقتصد: من يأخذ طريقا وسطا بلا إفراط ولا تفريط، قال بعضهم : المقتصد : هو الذي استوى ظاهره وباطنه.

أما السابق فهو العالم، وهو الذي غلبت روحانيته على حيوانيته، فبالغ في غذاء روحانيته، فهو سابق في كل شيء، سابق إلى الطاعة، سابق إلى البذل والعطاء، سابق إلى الشفاعة والجنة، ومرافقة الأنبياء والمرسلين بعلمه وفهمه وعمله.

قال عمر بن واصل: سمعت سهلاً يقول: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل.

وينبغي علي العالم ما يلى:

1- أن يكون تقيا فخير الزاد التقوى، ولله در الشاعر تزود من التقى... بجانب أن الأستاذ المتقي يراقب الله في أفعاله وأقواله ويعلم ان الله رقيب عليه ... ويمارس خلق الإحسان
2- عفيفا تقيا؛ لا يكلف تلميذه بما لا يطيق، ولا يشق عليه، ولا يستغل كونه استاذا له فيكلفه من الأعمال ما ينافي كونه استاذا، أو يستغل بعلمه مالا بغير حق يحصله من التلميذ
3- أن يكون قدوه نموذجا، ولله در الإمام النووي الذي كان يتصدق عن أستاذه؛ ولا يأكل معه، خشية أن تمتد يده إلى شيء يرغبه أستاذه، وكذا الشيخ البقلي ومشايخ الأزهر الكرام
4- أن يكون لينا ميسرا في غير ضعف أو تراخي أو كسل أو تهتك، فإن الله حرم على النار كل هين لين وكان من خلق النبي ﷺ أنه يهش ويبش ولنا في هديه مع عبد الله بن عباس الاسوة والقدوة الحسنة
5- أن يتفقد طلابه وأن يتعهدهم وأن يسأل عن مريضهم ويفرج كرب المكروب منهم ما استطاع لذلك سبيلا
6- ألا يكون فاحشا جعظري جواظ صاخب، وبالجملة أن يتعامل معهم بحسن الخلق فما من شيء أثقل في ميزان العبد من حسن خلق، وإن أقرب الناس من سيدنا رسول الله ﷺ يوم القيامة أصحاب الخلق، ولما مدح الله نبيه قال إنك لعلى خلق عظيم، والنبي توعد من الان الكلام واطعم الطعام وحسن خلقه بغرف من الجنة يرى ظاهرها من باطنها...

آداب طالب العلم.

1- حسن الخلق والصبر على أستاذه كما قال الشاعر إن الطبيب والمعلم ... ولنا في الخضر وموسى القدوة والنموذج لما قال له ستجدني إن شاء الله ... وقوله لا تؤاخذني بما نسيت.. ولا ترهقني من أمري عسرا...
2- أن يرد غيبة أستاذه، وألا يتحدث عنه بسوء في غيبته وفي حضوره، وأن يكون معه كابنه
3- أن يتعامل مع الناس بالتواضع وحسن الخلق وأن يكون خير نموذج لجامعته وأستاذه ولمن علمه ويجعل من يراه يدع لمن رباه
4- ألا يكثر على أستاذه السؤال ولنا في سيدنا رسول الله ﷺ الاسوة الحسنة عَنْ أَبِي قَتَادَةَ: رَجُلٌ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، غَضَبَهُ، قَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: «لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ» - أَوْ قَالَ - «لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ؟» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «ذَاكَ صَوْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذَلِكَ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». وعندما تتأمل هذا الحديث تقف عند أكثر من درس من دروس النبوة.

<u>أولها:</u> بشرية سيدنا رسول الله ﷺ: تلك البشرية التي تمثلت في بعض الأمور الحياتية والسلوكيات الفطرية التي يتعرض لها أي بشر، فرواي الحديث قد قدم لنا صورة تفصيلية، تعبيرية حين سأله السائل ولعله من الأعراب، كيف تصوم؟! وهذا سؤال عجيب! فالأولى به أن يسأله كيف أصوم؟ فحين يسأل الطالب أستاذه عن سؤال ثم يقول له كيف تجيب عن هذا السؤال؟ فهنا يكون قد تعدى حد الأدب واللباقة، فمن المعروف سلفا، ومن المسلمات أن إجابة الأستاذ هي الإجابة النموذجية التي لا

يقدر عليها الطالب!، ولذا فالأولى بالطالب أن يستفسر عن حاله، ويقول كيف أجيب عن هذا؟!

الأمر الثاني أن السائل قد كرر السؤال أكثر من مرة وهذا أيضا من باب سوء الأدب والفقه، فأنت إن سألت الأستاذ مرة فلم يجب فلا تعيد عليه، فيفهم من مقتضى الحال أن السؤال يترفع عن الإجابة عن سؤالك! كما أن في إجابة سيدنا رسول الله ﷺ ملمح خطير، فربما ظن السائل أن صيام سيدنا رسول الله فرض عين فأوصل تلك الرسالة لباقي أقرانه فصار الأمر من عين المندوب أو المباح إلى عين الواجب! وعليه فإن سكوت النبي وغضبه ﷺ كان رحمة للأمة، ودرسا أن لا نفتش عن المسكوت عنه، فطالما أن الأمر مسكوت عنه فهو من المباحات التي لا تندرج تحت الفرضية وصدق الحق سبحانه إذ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ... ﴾ (المائدة 101)

5- أن يتق الله عز وجل وأن يراعي الله في مأكله ومشربه ولذا أقول لأبنائي عليكم بتقوى الله ومراقبته ومعرفة أن العلم والمال لا يجتمعان دوما بل نادرا ما يجتمعان، ولتكن غايتك رضا الله ولن يتأتى رضا الله الا برضا والديك ثم تقواك وصلاتك وعبادتك وأخلاقك فسنرحل جميعا ويبقى الأثر

إياك والغرور وهنا أقتبس من قول لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ 17 وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ 18 وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ 19 ﴾ [لقمان: 17-19]

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا.

جمع وترتيب الفقير لعفو مولاه
د محمد سالم الصعيدي الشافعي الأزهري
الأستاذ المساعد بالأزهر الأنور.

ملحوظة: تلك الخطبة عبارة عن بحث أسبوعي يعده الفقير لعفو مولاه صدقة جارية على روح والده وبنية التيسير والفرج والشفاء، فخذ منها ما يحلو لك واترك منها ما لا يروقك وصاحبها يسألك الدعاء بإخلاص ويسأل الله لجميع الدعاة التوفيق والسداد.